الباب الرابع
تحليل العناصر الداخلية

هذا الباب يشتمل على خمسة فصول ، الفصل الأوّل يبحث في الموضوع في قصة عيسى بن مريم والفصل الثاني يبحث في شخصياتها والفصل الثالث يبحث في موضعها والفصل الرابع يبحث في حبكتها والفصل الخامس يبحث في فكرتها .

الفصل الأول
الموضوع في قصة عيسى بن مريم

أ. الموضوع

قصة عيسى بن مريم هي القصة في القرآن الكريم وهي قصة واقعية. تقص عن مولد عيسى ومعجزاته ونبوته .

والموضوع من هذه القصة هو عن وحدنية لله أي ليس إله إلاّ الله .

والأية التي تدل على ذلك :

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . (آل عمران : ٦٢)

إن هذا المذكور من قصة عيسى لهو القصة الواقعية لولادة عيسى عليه السلام ونشأته ومنهجه في دعوته ولا يوجد إله يعبد بحق غير الله تعالى وحدة . خالق كل شيئ وإن الله هو القوي الغالب في هذا الكون الحكيم في صنعه وتدبيره.[1]

[1] وهبة زهيلي ، ***الموسوعة القرآنية الميسرة*** ، (دمشق : دار الفكر الطبعة الثانية : 1423 هـ) ، ص: 59

هذا الذى قصصناه عليك يا محمد فى عمر عيسى وأمّه هو القصص الحق الذى لا معدى عنه، وليس هناك إله غير الله، والله هو العزيز فى قدرته، الحكيم فيما قضى به. [2]

هذا إشارة إلى ما تقدم من قصص عيسى عليه السلام والكلام مشتمل على قصر القلب أي ما قصصناه هو الحق دون ما تدعيه النصارى من أمر عيسى.[3]

وكثيرا ما كان يقول في أثناء احاديثه (أبى) يريد الله ربى. فظن بعض اللجهلة أنه ابن الله، وغلا فريق من الناس فجعلوه الها، أو جزءا من الله وتسربت اليه عقيدة التثليث التى كانت سائغة بعض الشعوب بصور مختلفة. وقد نفى الله ذلك كله واستنكره في القرآن الكريم. واستنكره السيد المسيح نفسه وانه لتجد ذلك الإستنكار في كثير من الآيات منها قوله تعالى :

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقدم حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا اله واحد. وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم. افلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غهور الرحيم. ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقة كان يأكلان الطعام).

ومنها قول عز وجل: وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصاري المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون.

---

[2] . أسعد محمود حزند، ***أيسر التفاسير***، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف (84 شارع ذنوبيا دمشق) الطبعة الثانية 141 ه – 1996 م: ص. 148

[3]. السيد محمدحين الطبا طبائي. ***الميزان فى تفسير القرأن***. الطبعة الثالثة. ص. 227.

وقوله سبحانه: ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتغلوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فأمنوا بالله ورسوله ولاتقول ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبجانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض كفى بالله وكنلا. ان يستنكف المسيح أن يكون عبدا الله ولا الملائكة المقربون و من بستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا.[4]

وهذه قصة عيسى ابن مريم ترد ورودا أساسيا في ثمانية مواضع، وآخرا حلقة منها تعرض في سورة المائدة (112) على النحو التالى :

(وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق. إن كنت قلته فقد علمته. تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك. إنك أنت علّام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به: أن اعبدوا الله ربي وربكم. وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم, فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم, وأنت على كل شيئ شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك, وإن تغفرلهم فإنك أنت العزيز الحكيم).

فهذا الختام هو ختام ديني وختام في آن واحد, لقصة كقصة عيسى. مولده عجيب، وعن هذا المولود نشأت شبهات تأليله، وحول هذه النقطة المعقدة ثارت المشكلات. فها هو ذا في

[4] حامد عبد القادر. ***القصص الأنبياء في القرأن***. القاهرة. 1390 ه – 1970 م. ص: 131

اللحظة الأخيرة أمام خالقه يعترف بعبوديته، ويشهد بما قاله لقومه. ويفوض الأمر فيهم إلى الله العزيز الرحيم.

الفن يقتضي هذا الختام، حين تساق القصة مساقها في القرآن.[5]

[5] سيد القطب، ***التصوير الفني في القرآن***، الطبعة الشرعية العاشرة، دار الشروق، القاهرة 1988 م – 1408 ه ص. 175

الفصل الثاني
شخصيات في قصة عيسى بن مريم

والشخصيات في هذه القصة من حيث تقسيمها تكون من الشخصية الرئيسية والشخصية الإضافية .

أ. الشخصية الرئيسية

الشخصية الرئيسية التي توجد في قصة عيسى بن مريم كما يفهم من الأيات القرآنية المعبرة عن قصة عيسى بن مريم هي : عيسى نفسه

-ويكلم عيسى الناس في المهد وفى الكهولة وهو من الصالحين كما ذكر في الأية :

" إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) " . (آل عمران : 45-46)

ويكلم الناس وهو طفل صغير في المهد: مضجع الطفل حين الرضاع وفى الكهولة: ما بعد سن الثلاثين أو الأربعين الى الشيوخية أي يكلم الناس في الحالين بالوخي والرسالة وهو من العباد الصالحين.[6]

الظاهرة أن هذه البشارة هى التى يشتمل عليها قوله تعالى فى موضع أخر ((فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إنى أعوذباالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً الأيات)). مريم

---

[6]. وهبة زهيلي ، ***الموسوعة القرآنية الميسرة*** ، (دمشق : دار الفكر الطبعة الثانية : 1423 هـ) ، ص: 56.

19، فتكون البشارة المنسوبة إلى الملائكة هيهنا هى المنسوبة إلى الروح فقط هناك. [7]

-وله المعجزات مثل جعل عيسى الطير من الطين بإذن الله ، وأحيا الموتى بإذن الله وغير ذلك .

والأية التي تدل على ذلك :

وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . (آل عمران : ٤٩)

ويرسل الله تعالى رسولا الى بنى إسرئيل أنى اتيقكم بعلامة دالة على ضدق نبوتى ورسالتى، وهو أغن أصور لكم من الطين شيئا كهيئة الطبر، فأنفخ فيه، فيصرحيا كسائى الطيور بارداة الله، فالخلق الحقيقى من الله وأشفى الأكمه الذى ولد اعمى، والأبرص الذى به البرص وهو بياض يظهر في الجلد وخص هذان المرضان لاستهالاث الشفاء منهما فى العادة الغالبة، وأحى الموتى وكل ذلك بارادة الله وأخيركم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم، وذلك مما لا يطلع رسالتى إن كنتم مصدقين بالرسالان الالهية. [8]

ب. الشخصية الإضافية

الشخصية الإضافية شخصية نعين في إكمال سلسلة القصة . وأما الشخصية الإضافية التي توجد في قصة عيسى بن مريم ، هي :

---

[7]. السيد محمدحين الطبا طبائي. ***الميزان فى تفسير القرأن***. الطبعة الثالثة. ص. 191 .

[8]. نفس المراجع. ص 57.

1. مريم

هي أم عيسى وهي مرأة صالحة وصدّيقة

الأية التي تدل على ذلك :

- مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . (المائدة : 75)

ما المسيح الارسول بشر كسائر الرسل الذين مصوا من قبله ومعجزاته مثل بقية الرسل لاتوجب كونه الها. مثل خلق آدم من غير أن. وعصا موسى وأم عيسى مبالغة في الصدق فيما تقوله. وهي وابنها عيسى بشران يأكلان كسائر البشر ومن احتاج إلى الطعام لايكون ربا اوالها لأنه لوترك الأكل هذك والرب لايموت.[9]

- قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . (مريم : 20)

قالت مريم متعجبة مستغربة: كيف يكون علام ولم يقربني زروج ولم اكن زاتية.[10]

- وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (آل عمران : 42)

واذكر ايها الرسول خين قالت الملائكة: يامريم إن الله اختارك وتقبلك لخدمة بيت المقدس وطهرك من

---

[9]. نفس المراجع. ص. 121.

[10]. نفس المراجع. ص. 56.

العيوب (الأدناس) المعنوية والحسية وفضلك على جميع نساء العالمين في زمانك. وقيل إلى يوم القيامة بولادتك نبيا من غير مساس الرجل.[11]

2. بنى إسرائيل

هو قوم عيسى أي أرسل الله عيسى إليهم .

الأية التي تدل على ذلك :

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . (المائدة : 72)

لقد كفر القائلون: إن الله هو المسيح. وهم التعقوبية أو الملكاثية. قالو: إن الله حل في ذات عيسى، فرد الله عليهم بأن المسيح قال لبنى إسرائيل: اعبدوا الله ربى وربكم خالقى وخالقكم فكيف يكون العبد العابد الها؟ إنه من يتخد شريكالله فقد منعه الله الجنة ابدا ومسكنه من النار أبدا وليس لطا أنفسهم بعبادة غير الله أعواذ بنقذونهم من العذاب الأخروي.[12]

3. اليهود والنصارى

اليهود الذين يقولون عزير ابن الله والنصارى الذين يقولون المسيح ابن الله :

كما ذكر في الأية :

---

[11]. نفس المراجع. ص. 307.

[12]نفس المراجع ، 121

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . (التوبة : 30-31)

قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح عيسى ابن الله وهو مجرد قول لابرهان لهم عليه يشابهون يقولهم هذا ني الكفر والشناعة القول الكفار من قبلهم كعبدة الاوثان الذين قالوا: اللات والعزى ومناة بتاذ الله. والملائكة بنات الله لعنهم الله وأهلكم كيف يصروفون عن الحق إلى غعيره مع قيام الدليل على واحدانية الله؟ نزلت في نفر من اليهود قالوا للنبى : كيف نتبحك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيزا ابن الله فتنزلت الأية.[13]

4. الكافرون

الذين يقولون إنّ الله هو المسيح ابن مريم

الأية التي تدل على ذلك :

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِيْنَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (المائدة : 17)

لقد صاروا كفارا الذين قالوا: إن الله هو المسيج ابن مريم.[14]

---

[13] نفس المراجع ، 192

[14] نفس المراجع ، 111

الفصل الثالث
موضع في قصة عيسى بن مريم

وكان موضع القصة يضمن عليه المكان والوقت .

أ. موضع المكان و موضع الوقت

المكان هو في دائرة بيت المقدس يعنى مكان ميلاد عيسى في بيت لهم في الشرق اتجاه بيت المقدس . جانب شجرة الثمر بدأت هذه القصة من وقت مبلاد عيسى ونبوته . يرفع الله. كما ذكرت في الأيات :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) . (مريم : 16 – 25)

واتل أيها الرسل فى هذه السورة الكريمة نبا مريم وقصتها حين اعتزلت أهلها ، وانحذت مكانا شرقي بيت المقدس للعبادة والتهجد.

فاتخذت من دون أهلها سترا يحجبها عن الناس لتحتلى للعبادة وأرسلنا اليها جبريل عليه السلام ، فظهر لها فى صورة رجل سوى الخلقة معتدل كامل البنية ، لتأنس به ، وليعلمها بما أراده الله لها من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من غيرأب.

فلما رأته مرسم وظنت أنه يريدها على نفسها قالت : انى أعتصم باللله منك ان كنت تخافة وألجأ اليه أن يحمينى من شرك ، ان كنت تخشى الله وتخاف عذابه ، فابتعد عنى ، لان الاستعاذة بالله لا تجدى الا عند المتقين الخائفين من عذاب ربهم.

قال جبريل عليه السلام لمريم ليؤ منها من خوفها وتحيرها وليزيل ما حصل عندها من الخوف على نفسها منه : انى لست بشرا وانما أنا رسول الله من الملائكة جعلنى الله سيافى أن يهب لك غلاما طاهرا نقيا مبرا من العيوب.

قالت مريم لجبريل عليهما السلام : متعجبة من قوله : كيف أحمل ويكون لى ولد وأنا عذراء ، ولست بذات زوج ولا ينصور منى الفجور او السفاح ، ان هذا الشيئ لا يتصوره عقل انسان.

قال جبريل عليه السلام مجيبا لها عما سألت : الأمر محقق ومقرر كما قلت: لم يقربك انسان وأنت صادقة فى أنك عذراء ، ولست بذات زوج ولست فاجرة .

لكن ربك وهو القادر القوي قال : انك ستلدين غلاما وان لم تكونى بذات زوج ولم تكونى فاجرة ، وذلك أمر سهل عليه وأن لم تجر عليه العادة ، لكنه معجزة خارقة للعادة والنواميس الطبيعية وقد اراد الله ذلك ليجعله علامة الناس ودليلا لهم حيث يستدلون بخلقه على كمال قدرته – فقد خلق الله تعالى آدم من غير آب وأم ، فلا عجب أن خلق عيسى بلا أب ، ومن أنثى فقط وخلق بقية الذرية من ذكر وانثى ، وكان عيسى رحمة من الله

للخلق ، وهكذا كل نبي يهدى الناس الى الخير ويأخذ بأيديهم الى صراط المستقيم – وقد نفذ الله أمره وسبق قضاؤه فى علمه الأزلى فى أن يكون لك ولدا من غير أن يمسسك بشر ، وصار قضاؤه محتوما وأمره لا يعتغير ولا يتبدل – وهكذا اطمأنت مريم الى كلام الملك فدنا منها جبريل وتفح فى فنحة قميصها من أعلى.

فحملت مريم وابتعدت بجنيتها وهو عيسى عليه السلام واعتزلت به وهو فى بطنها مكانا بعيدا عن أهلها وراء الحبل.

وقد رحلت الى مكانها القاصى حياء من قومها ، وهي سليلة بيت النبوة ولأنها استشعرت من القوم مظنة اتهامها بالريبة ، وسوء الطف لعدم الإيمان وبحقيقة الأمر فرأت الاعتزال عنهم.

فاضطرها وجع الولادة وتحرك الوليد للخروج من بطنها أن تستند الى جزع نخلة كانت بالقرب من نهير يفيض ماء ، فاستمسكت بالنخلة لتساعدها على احتمال آلام الطلق والولادة ، فلما زاد عليها الوجع وهي فى وحدتها ، وتذكرت ما سيقول عليها القوم ، وما ستلاقيه من افتراءات ومضائح – ثمنت حينئذ أ، لوكانت ماتت قبل وقوع هذا الأمر خشية الائمة الناس ، والمعرة بولادة وليدها من غير زوج كما تمنت ان لوكانت شيئا لا يعتد به ولا يحطر ببال انسان.

ووالدت مريم عيسى وهي وحيدة في عزلتها ولا طعام ولا غداء فماذا تصنع

وسرعان ما شملها الله برحمته وأدركها بلطفه ، فسمعت صوتا بناديها ، يطيب نفسها ويذهب وحشتها ، وقيل : أنه صوت جبريل عليه السلام ، وقيل : أنه صوت عيسى من مكان تحت المكان الذى كانت به أسفل الأكممه ، يا مريم لا تحزنى ولا

تخافى شيئا فقد تولى الله حماينك وتكفل برزقك فهذه نخلة قد أثمرت وذلك نهب قد جرى ماؤه ، وهذا غلام رفيع القدر عالى الشأن فمثلك لا تحزن ويخاف.

لقد أحاطت بك عناية الله تعالى وكلاتك رعايته فهذه آية دالة على أن الأمر فارق للعادة ، وقد اصطفك الله بهذا الوليد العظيم . وحركى جذع النخلة نحوك إلى جهتك أن احتجت إلى طعام فتساقط رطبها جنيا – شهيا.[15]

[15] محمد عبد المنعم الجمال ، ***التفسير الفريد للقرآن المجيد*** ، ص: 15 - 26

الفصل الرابع
حبكة في قصة عيسى بن مريم

أن القصة لا تمكن أن تفهم جيدة إلا حين ذكرت دور سلسلتها و نعني بـها الحوادث التي يتعلق بعضها ببعض للحصول على سلسلة القصة وفي قصة عيسى بن مريم . حلل البـاحث أن حبكة القصة هي ثلاثة أقسام : الحبكة البدئيه والحبكة الوسطية والحبكة النـهانية .

أ. الحبكة البدئية

بدأت هذه القصة من قصة ميلاد عيسى ، و مريم ليست لـها زوج . وهذا من قدرة الله .

كما ذكرت في الأيات :

إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (٤٨) . (آل عمران : 45–48)

قالت مريم مستبعدة الأمر بحكم العادة : كيف يكون لى ولد . ولم يقربنى رجل؟ فأجابها الوحي : مثل ذلك بخلق الله مايشاء من العدم بمقتضى قدرته وحكمته إذا اراد امرا أو شيئا أوجده بكلمة "كن" فيكون كما اراد.[16]

[16] وهبة زهيلي ، ***الموسوعة القرآنية الميسرة*** ، (دمشق : دار الفكر الطبعة الثانية : 1423 هـ) ،ص: 52 - 57

ب. الحبكة الوسطية

الحبكة الوسطية تبدأ من قصة نبوة عيسى عليه السلام .
أرسل الله عيسى إلى بني إسرائيل .
وتقص أيضان عن معجزات عيسى : كما ذكرت في الأيات :
وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١) . (آل عمران : 49 – 51)

ويرسل الله رسولا إلى بنى إسرائيل : أنى أتيتكم بعلامة دالة على صدق نبوتى ورسالتى وهي أننى أصور لكم من الطين شيئا كهيئة الطير فأنفخ فيه ، فيصير حيا كسائر الطيور بارادة الله فالخلق الحقيقى من الله ، وأشفى الأكمه الذى ولد أعمي ، والابرص الذى به البرص : وهو بياض بظهر في الجلد ، وخص هذان المرضان ، لا ستحالة الشفاء منهما في الغالبة ، وأحبي الموتى ، وكل ذلك بارادة الله ، وأخبركم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم ، وذلك مما لا يطلع عليه الناس عادة ، إن في جميع ماذكر لدليلا قاطعا وحجة ظاهرة على صدق رسالتى إن كمتم مصدقين بالرسالات الإلهية.[17]

ج. الحبكة النهائية

[17] نفس المراجع ، 56 - 57

مكر كفار بنى اسرائيل لقتل عيسى وأبطل الله مكرهم ورفع عيسى إلى السماء ، وكان الله يعذب الكافرون وأما الذين أمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم . كما ذكرت في الأيات :

وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) . (آل عمران : 54 – 57)

ومكر كفار بنى إسرائيل أي ديروا تدبيرا خفيا لقتل عيسى ، وأبطل الله مكرهم بإلقاء شبه عيسى على احد الحواريين ، ورفع عيسى إلى السماء والله خير وأنفذ وأقوى المدبرين.

فأما الكفار فلهم عذاب شديد فى الدنيا بأنواع العقاب ، وفى الآخرة بنار جهنم والغضب الإلهي وليس لهم أنصار ينصرونهم ويمنعون عنهم العذاب .

وأما المؤمنون والذين يعملون الأعمال الصالحة التى أمر الله بها ، فيعطيهم الله ثواب أعمالهم كاملا واقرا والله يعاقب الظالمين أنفسهم ، الذين كفروا بالله ورسوله وعصوا أوامر ربهم.[18]

[18] نفس المراجع ، 58

الفصل الخامس
فكرة في قصة عيسى بن مريم

وأما الفكرة في قصة عيسى بن مريم التي توجد من الأيات القرآنية فهي :

أ. إنّ الله على كل شيئ قدير . كما في خلق عيسى بن مريم .

الأية التي تدل على ذلك :

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . (آل عمران : 47)

قالت مريم مستبعدة الأمر بحكم العادة : كيف يكون لي ولد ، ولم يقربنى رجل ؟ فأجابها الوحي : مثل ذلك يخلق الله مايشاء من العدم بمقتضى قدرته وحكمته ، إذا اراد أمرا شيئا أوجده بكلمة "كن" فيكون كما اراد.[19]

ومن هذا المعنى يشفق الباحث على ما قاله سيد قطب إن القصة القرأنية ليست قصة فنية فحسب بل أنها مؤلفة من الأغراض الدينية. كتوحيد الله والأغراض الفنية.[20]

---

[19] نفس المراجع ، 57

[20]. سيد قطب. التصوير الفى فى القرأن. (القاهرة: دار الشروق 1968) ص. 143

ب. إنما الله اله واحد

الأية التي تدل على ذلك :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً. (النساء : 171)

يأهل الكتاب لا تتجاوزوا الحدود في التدين فيطعن بعضكم بعيسى ، ويؤلهه آخرون ولا تقولوا على الله إلا قول الحق ، فلا تقول عزيز ابن الله . والمسيح ابن الله ، إ،ما المسيح هو كلمة الله . أي وجد وكون بكلمة كن وجهها إلى مريم بوساطة جبريل ودوح منه أي سر من الله ، كسائر الأرواح التى خلقها الله وإنما اضافه إلى نفسه للتفضيل والتكريم فآمنوا بأن الله اله واحد لاشريك له وبأن رسله صادقون ، فلا تكذبوهم ولا تتغالوا فيهم ، ولا تقولو : الآلهة ثلاثة يقول النصارى : ثلاثة أقانيم أي أقنوم الوجود واقنوم الحياة ، وأقنوم العلم . ويعبر عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس . انتهوا عن هذا القول بالتثليث يكن إننهاؤكم خيرا لكم من بقائكم على الكفر ، إنما الله إله واحد لا شريك له هو منزه تنزيها عن أن يكون له ولد له جميع السموات والارض وما جعلتموه ولدا او شريكا هو من مملوكات الله ، والملوك لا يرقى أن يكون شريكا أو ولدا وكفى بالله وكيلا قائما بجميع أمور خلقه.[21]

[21] نفس المراجع ، 106